المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:02 (2024)، ص24-45

مقاومة الشيخ محمد الحسناوي في منطقة عنابة بالشرق الجزائري (1830م-1847م)

Resistance of Sheikh Mohamed ELHASNAWI in the Region of Annaba in the East of Algeria (1830-1847)

العياشي روابحي
جامعة عنابة (الجزائر)
rouabhi23000@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/07/30
تاريخ القبول:
2024/09/15

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الشيخ محمد الحسناوي
- ✓ المستعمر الفرنسي
- ✓ الشرق الجزائري
- ✓ منطقة عنابة

الملخص:

في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر خاض الشيخ محمد الحسناوي مقاومة عنيفة ضد المستعمر الفرنسي في منطقة عنابة بالشرق الجزائري امتدت إلى غاية سنة 1847. ولما كانت علاقته متباغضة مع الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، فقد دخل في خدمة الفرنسيين برهة من الزمن، بيد أنه لم يطمئن لهم فانفض من حولهم وانتصر للأمير عبد القادر وكان أحد وأعوانه في هذه المنطقة التي كانت تشكل عمقا استراتيجيا للإدارة الاستعمارية الفرنسية.

وخلال مقاومته كان الشيخ محمد الحسناوي يحتمي بالبلاد التونسية التي اتخذها ملاذا آمنا له كلما ازداد عليه الضغط الاستعماري مما أثار حفيظة الفرنسيين بالجزائر. وتحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على كل جوانب هذه المقاومة انطلاقا من عدة وثائق أرشيفية ومصادر مختلفة.

Article info

Received:
30/07/2024
Accepted:
15/09/2024

Key words:
- ✓ Sheikh Mohamed ELHASNAWI
- ✓ the French colonizer
- ✓ the East of Algeria
- ✓ Annaba region

Abstract:

In the incept of the French colonization of Algeria, sheikh ELHASNWI led a violent resistance against the French colonizer in the region of Annaba, a town in the East of Algeria. This resistance extended to the year 1847. Due to his bad relationship with Elhadj Ahmed BEY, the last of the BEYS of Constantine, Sheikh ELHASNAWI served the French for a short time. Since he was not satisfied with his situation, he joined and was an assistant of Elamir ABDELKADER in this strategic region of Annaba.

During his resistance, Sheikh ELHASNAWI took Tunisia as a safe refuge in the hard times. This study tries to shed some light on this resistance using different documents and sources.

مقاومة الشيخ محمد الحسناوي في منطقة عنابة بالشرق الجزائري (1830م-1847م)

مقدمة

في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر برز عدد كبير من زعماء المقاومة الوطنية الذين تصدوا للغزو الاستعماري في منطقة عنابة بالشرق الجزائري. وفي هذه الدراسة نحاول أن نلقي بعض الأضواء على مقاومة الشيخ محمد الحسناوي الذي يعد من أبرز هؤلاء الزعماء. ويبدو أن مقاومة هذا الثائر لم تنل حقها الكامل من الدراسة في مختلف البحوث التاريخية، حيث بقيت أخبارها عبارة عن أشتات مبسوطة في بعض الكتابات التي تتحدث عن تاريخ الجزائر في بداية القرن 19م، وعلى صفحات بعض المجلات التاريخية المتخصصة.

وقد حاولنا أن نعالج هذا الموضوع انطلاقا من عدة مصادر معاصرة لمقاومة هذا الثائر، ووثائق أرشيفية عثرنا عليها في الأرشيف الوطني التونسي، وأرشيف إيكس أون بروفانس بفرنسا (A.O.M)، وأرشيف وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية (A.M.R.E) التي توجد مصغرات فيلمية منها بالمعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر(I.S.H.T.C) **فكيف كان موقف الشيخ محمد الحسناوي من المستعمر الفرنسي؟ كيف نظر إلى مقاومة الحاج أحمد باي؟ ولماذا فضل التعاون مع الأمير عبد القادر؟ كيف ابتدأت مقاومته؟ وكيف كان رد فعل المستعمر عليها؟ وما هي خلفيات هجرته إلى البلاد التونسية؟ كيف كان موقف الفرنسيين من القادة التونسيين الذين طبقوا سياسة الباب المفتوح أمامه وتعاطفوا معه؟ هل استطاع بايات تونس أن يوفقوا بين نظرتهم إلى هذا الثائر الذي اعتبروه مهاجرا إلى "دار الإسلام" ويتوجب عليهم إغاثته ومساعدته، وبين إلحاح القادة الفرنسيين في الجزائر الذين نظروا إليه على أنه متمرد على سلطتهم ويتحتم عليهم لجمه وتوقيفه؟ ثم كيف كانت نهاية هذا الثائر؟** ذلك ما سنحاول تفصيله في هذه الدراسة.

1.موقف الشيخ محمد الحسناوي من الاستعمار الفرنسي ورائدي المقاومة الوطنية: الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر

بعد سقوط الجزائر العاصمة تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية عام 1830م، اندلعت مقاومة شعبية ضد المستعمر الفرنسي قادها كل من الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري (1832م-1847م)، والحاج أحمد باي في شرقها (1830م-1848م). وليس المجال هنا هو البحث في مقاومة الزعمين، إنما هدفنا هو معرفة واستجلاء موقف الشيخ محمد الحسناوي منهما وخلفيات ذلك.

1.1. موقف الشيخ محمد الحسناوي من مقاومة الحاج أحمد باي

قبل التطرق إلى هذا الموقف، لا بد من الإشارة إلى أن الشيخ محمد الحسناوي كان على رأس مشيخة قبيلة الحنانشة خلال السنوات الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر. وقد دخلت هذه القبيلة في علاقة صراع مع العثمانيين في بداية حكمهم لمقاطعة قسنطينة، حيث لم ترض بوجودهم، وانتصبت في المعسكر المعادي لشرعية حكمهم، وقادت حركة نضالية ضدهم، غير أنه سرعان ما وقع التوافق بينهما واعترفت بسلطتهم، وفي مقابل ذلك اعترف العثمانيون لها بثلث وطن قسنطينة (ابن العطار، د، ت، الصفحات 56-57).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ورغم ذلك بقيت ثائرة ضد السلطة العثمانية إلا في القليل النادر، ولما وصل الحاج أحمد باي إلى دفة حكم البايلك القسنطيني عام 1826م، قام بحملات عسكرية ضدها كتلك التي نظمها عام 1828م، والتي تمكن خلالها من تأديبها، كما غنم زهاء 21000 رأس من الأغنام و500 رأس من الإبل، وفرض عليها ضريبة باهظة (Féraud ., 1874, p. 456)

ومن الأساليب الأخرى التي انتهجها الباي تجاه هذه القبيلة أيضا، أنه قام بعزل وإبعاد العناصر المشاغبة، وبالمقابل تقريب العناصر الوفية والمخلصة له. وفي هذا المنظور عزل الشيخ محمد الحسناوي الذي كان على رأس مشيخة الحنانشة وعوضه بصديقه الوفي الشيخ الرزقي بن منصور (سعيدوني، 2000، صفحة 61). الذي خدمه بإخلاص وقضى على كل خصومه وعلى رأسهم الشيخ زين بن يونس مهندس ثورة الحنانشة الذي ألقى عليه القبض بعد أن منحه الأمان وأرسله إلى الجزائر العاصمة، فأمر الداي بوضعه في فوهة مدفع ثم أطلق قذيفته مما أدى إلى انشطار جثته إلى شظايا !(L.ch, 1874, p. 364) وقد أدت هذه السياسة إلى تسمم العلاقة بين الحاج أحمد باي والشيخ محمد الحسناوي الذي اعتصم بمنطقة الأوراس، وألب الحنانشة والحراكتة ضد سلطة الباي الذي لم يتمكن من إخماد تمردهم رغم الحملات المتكررة التي شنها ضدهم. (Mercier, 1896, pp. 6-7)

والواقع أن علاقة الجفاء التي كانت قائمة بينهما كانت لها آثار مباشرة على موقف هذا الشيخ من الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، وكذلك موقفه من مقاومة هذا الباي التي أعلنها في منطقة عنابة بالشرق الجزائري. ففي 14 جوان من عام 1830م قام الجيش الفرنسي بعملية الإنزال في مرسى سيدي فرج، فتصدت له القوات الجزائرية التي وصل عددها إلى 100.000 مقاوم بقوة، وأرسل كل باي عددا معتبرا من فرسانه. (Lacqueton , Revue Africaine1892, pp. 136-140) وكانت القوة التي استنفرها الحاج أحمد باي أكبر قوة عسكرية قدرها أحد الأسرى بـ 12000 فارس (Alfred , 1876, p. 155).

وإذا كانت كل القبائل والأعراش والعائلات الكبرى وأعيان المدن والأرياف القسنطينية التي كانت علاقتها متناغمة مع الحاج أحمد باي قد شاركت في هذه القوة، فإن الأطراف التي كانت متباغضة معه رفضت المشاركة فيها. ويأتي في مقدمتها الشيخ محمد الحسناوي الذي امتنع عن تقديم الدعم للحاج أحمد باي، وراح يكثف نشاطاته الثورية بضواحي مدينة عنابة المهددة من قبل الفرنسيين (Féraud , 1874, p. 367).

وفي تلك الأثناء كلف الحاج أحمد باي خليفته علي بن عيسى بمهمة الدفاع عن هذه المدينة، وتنفيذا لهذا الأمر فرض هذا القائد حصارا محكما عليها و دخلها في ليلة 05 مارس من عام 1832م. (Féraud , 1874, p. 267) وعلى إثر ذلك أحاط كل سكان المدينة علما أن الحاج أحمد باي منحهم الأمان، وأصدر عفوا عن كل خصومه، كما أكد للفرنسيين الذين كانوا يحاولون إحكام سيطرتهم على المدينة أن الباي ليس في نيته الانتقام منهم، بل أن غايته من وراء هذا الحصار هو القضاء على ابراهيم باي الذي شق عصا الطاعة، وتمسك بأفكاره التي ركبها الغرور واعتصم بقصبة المدينة وراح يناصب العداء للحاج أحمد باي في تلك الظروف

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الاستثنائية (Temimi, 1978, p. 113). وبالموازاة مع ذلك كان الشيخ محمد الحسناوي ثائرا ضد السلطة الفرنسية في المناطق القريبة من مدينة عنابة، حيث انتقل بزمالته هناك، غير أن أنصار الحاج أحمد باي بقيادة محمد بن الطيب حاولوا منعه من المرور عبر أراضيهم الممتدة عبر بحيرة فزارة القريبة من المدينة، فتصدى لهم الشيخ محمد الحسناوي بقوة بفضل جيشه القوي الذي كان يقدر بـ 2400 فارس، وتمكن من سحق أنصار الحاج أحمد باي، حيث قتل منهم 60 رجلا، وأسر 30 أسيرا، وغنم 250 بندقية و50 حصانا. وبهذا الانتصار الساحق أصبحت للشيخ محمد الحسناوي اليد الطولى في إدارة شؤون منطقة عنابة التي كانت محظورة عليه في وقت سابق (Féraud , 1874, p. 267).

وحسب رواية " **فيرو**" «**Féraud**» فإن الشيخ محمد الحسناوي كان في تلك الأثناء يتقرب من الفرنسيين ويعرض خدماته على قائدهم "**هودر**" «**Houder**» الذي تقدم له بـ 300 فارس، الأمر الذي أثلج صدره، لأن ذلك يمثل مكسبا كبيرا للفرنسيين ويساعدهم على إحكام قبضتهم على مدينة عنابة التي تمثل عمقا إستراتيجيا هاما في البايلك القسنطيني. (Féraud, Documents pour servir à L'Histoire de Bône, 1873, p. 16)

غير أن قوات الحاج أحمد باي كانت تضايقه، ففضل مغادرة التراب الوطني والاستقرار بإقليم الكاف التونسي المجاور عام 1832م، ليستجمع قواه ويجلب الأنصار لمحاربة الفرنسيين الذين احتلوا مدينة عنابة فتمكن من استقطاب عدد كبير من القبائل إلى صفه (دحماني، 2002، صفحة 159).

وفي عام 1835م عين "**الكونت كلوزيل**" «**Clauzel**» حاكما عاما للجزائر للمرة الثانية، فقام بإزاحة الحاكم العسكري لمدينة عنابة " **مونك ديزر**" «**Monk d'Uzer**» وعوضه بالمملوك يوسف* (Mercier, 1896, p. 8) الذي شرع يتصل بسكان مقاطعة قسنطينة، ويغالطهم ويطلب منهم الانتصار لقضيته التي تستهدف القضاء على حكم الفرنسيين وحكم الحاج أحمد باي على حد السواء! وحتى يستقطب عموم السكان فقد تظاهر باعتناق الإسلام!، وكتب لهم عدة رسائل قال فيها: " **أقبلوا علي، إنني مسلم مثلكم، أتيت لأخلصكم من ظلم الفرنسيين الذين اغتصبوا بلادكم، ومن جور وطغيان الحاج أحمد باي الذي اضطهدكم...**". (Temimi, 1978, p. 178)

والأصل أن هذه الأفكار استهوت بعض الناقمين على الحاج أحمد باي في مقاطعة قسنطينة عموما ومنطقة عنابة خصوصا، ومنهم الشيخ محمد الحسناوي، فبعدما بلغت مسامعه أخبار هذا المشروع، عاد إلى التراب الجزائري وأجرى اتصالات جدية مع المملوك يوسف (Eugène , 1869, p. 560)، وتقدم إلى المعسكر الذي أنشأه غرب مدينة عنابة مرفوقا بـ 200 فارس وقدم له الولاء التام، وعبر له عن استعداده الكامل على التعاون معه من أجل إنجاح كل عمل عسكري يستهدف القضاء على حكم الحاج أحمد باي واحتلال عاصمة حكمه مدينة قسنطينة. (Féraud, Documents pour servir à L'Histoire de Bône , pp. 242- 243)

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بعد دخول الشيخ محمد الحسناوي في خدمة المستعمر الفرنسي، لعب دورا محوريا في التمكين له، حيث كلف بمهام تأديب القبائل الثائرة في منطقة عنابة. ونلمس ذلك من خلال الرسالة التي كتبها المملوك يوسف إلى نائب البرلمان الفرنسي السيد "**ديجوبير**" «**Desjobert**»، حيث جاء فيها: "... **سأسرد لكم سيدي مثالا حيا يدل على مدى سهري على تطبيق العدالة، وعلى مدى إيمان السكان كذلك بعدالتي لقد اتخذت مؤخرا قرارا يقضي بمعاقبة بعض أفراد قبيلة صنهاجة جراء سلوكهم المعادي لوجودنا وقيامهم باغتيال أحد الموظفين الفرنسيين والتمثيل بجثته، حيث قام أحدهم بقطع رأسه وأرسلها إلى الحاج أحمد باي. وتبعا لذلك كلفت الشيخ محمد الحسناوي بتأديب العناصر المتسببة في هذا العمل الجبان، فلقنهم درسا لا ينسى حيث عاقب المتمردين الذين كانوا يتواصلون مع الحاج أحمد باي...**" (Watbled, 1870 , p. 260). وعلى إثر نجاح الشيخ محمد الحسناوي في هذه المأمورية، شكره الفرنسيون على هذا العمل الذي ترك انطباعا حسنا في الأوساط الفرنسية ومنحه المملوك يوسف مبلغا معتبرا من المال وبعض الأنعام. (Féraud, : «Les Harar seigneurs des Hanancha, p. 371)

وفي 27 سبتمبر من عام 1836م، كتب الشيخ محمد الحسناوي رسالة إلى المملوك يوسف ذكر فيها ما يلي: "... **أزف لكم طي هذه الرسالة خبرا سعيدا مؤداه أن الشيخ الرزقي وجماعته غادروا المناطق السهلية واعتصموا بالجبال، وقد انتابهم فزع كبير وهجروا خيامهم وتخلوا عن قطعان أغنامهم... أعلم سيدي أن كل قبائل المناطق السهلية طلبت الأمان ولم يبق من عدو سوى الحاج أحمد باي والشيخ الرزقي... وبقدرة الله العلي القدير، فإن قواتكم ستسحقهما، وستجدونني في عونكم، فسارعوا إلى تزويدنا بالسلاح، ولا تنسوا أن ترسلوا لنا أيضا بمجموعة من البرانيس التي أوزعها على الشيوخ الذين فضلوا التعاون معكم...**" (Watbled, 1870 , pp. 261-262). وبهذا يتبين لنا أن الشيخ محمد الحسناوي كان يلعب دور المخبر لصالح المستعمر الفرنسي، وكان يتتبع أخبار غريمه الشيخ الرزقي ويرسلها دون تمهل إلى المملوك يوسف.

والواقع أن الشيخ محمد الحسناوي لم يطمئن كثيرا للمملوك يوسف، ولم يركن للفرنسيين لفترة طويلة، حيث انفض من حولهم، و رفض مواصلة التعامل معهم، وهذا ما أكده الجنرال "**دامريمون**" «**Damrémont**» الذي كان يباشر مهام الحاكم العام للجزائر خلال الفترة القصيرة الممتدة من 12 فيفري من عام 1837م إلى غاية 12 أكتوبر من عام 1837م، حيث أشار إلى ذلك في تقرير له أرسله إلى وزير الحربية الفرنسي قائلا له: " ... **إن الشيخ الحسناوي الذي انخرط في جيشنا ومنحناه الثقة الكاملة، وقلدناه رتبة ضابط في الجيش الإفريقي، انفض من حولنا يوم 28 أوت الماضي، وتخلى بصفة نهائية عن القضية الفرنسية...**". (C.A.O.M, Fevrier 1837)

بهذا يتبين لنا أن القيادة الفرنسية كانت تتبع باهتمام كبير أخبار الحروب التي كان يشنها الشيخ محمد الحسناوي ضد قوات الحاج أحمد باي والسكان المتعاطفين معه في منطقة عنابة، والثابت أن خبر مغادرته للمعسكر الفرنسي كان قد أدى إلى امتعاض المسؤولين العسكريين وضاعف من ارتباكهم، خاصة وأنهم كانوا

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حينئذ لا يزالون يتذكرون اليوم الذي انكسروا فيه أمام قوات هذا الباي حينما شنوا حملتهم العسكرية الأولى الفاشلة ضد عاصمة بايلكه في أواخر خريف عام 1836م، وولوا الأدبار مدحورين مذمومين. ومهما يكن من أمر فإن الفرنسيين استفادوا من خدمات هذا الشيخ الذي شن حربا بالنيابة عنهم ضد قوات الحاج أحمد باي وأنصاره في منطقة عنابة التي كانت بحق عصيبة على الفرنسيين الذي كانوا يدركون جيدا أن سيطرتهم على مدينة قسنطينة مرهونا بإحكام قبضتهم على مدينة عنابة.

2.1.موقف الشيخ محمد الحسناوي من مقاومة الأمير عبد القادر

يعتبر الأمير عبد القادر من أبرز رواد المقاومة الوطنية المسلحة ضد المستعمر الفرنسي وأحد أطواد استمرارية الدولة الجزائرية، حيث أنشأ دولة فتية وقسمها إلى ثمان مقاطعات، واتخذ من مدينة معسكر بالغرب الجزائري عاصمة لها، وسعى إلى أن يوسع أفقها ويمد نفوذها إلى أقصى الشرق الجزائري الذي أنشأ فيه مقاطعات برج حمزة، بسكرة ومجانة (سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر- الفترة الحديثة والمعاصرة- الجزء الثاني، 1985، صفحة 266).

وكان شديد الحرص على التواصل مع خلفائه وسائر المتعاونين معه بهذه الجهة، ويطلب منهم بذل قصارى جهدهم لتزويده بكل أخبار المنطقة، ويبينوا له: "...**صحيحها من باطلها ودون تمهل وتقصير**..." (رسالة الأمير عبد القادر إلى علي بن سالم الورقلي في 6 ربيع الثاني 1263 هـ (23 مارس من عام)، الوثيقة رقم 40، 1847م)

وكان الشيخ محمد الحسناوي أحد أعوانه بالشرق الجزائري ومنطقة عنابة حيث كان ينسق معه الجهود ويتبادل معه الرسائل والخطابات (دحماني، 2002، صفحة 160)، وكان الأمير عبد القادر تارة يرسل له هذه الخطابات عن طريق خلفائه بالشرق الجزائري، وتارة أخرى يرسلها له دون واسطة. ففي عام 1844م كتب الخليفة الثاني للأمير على منطقة الزيبان محمد الصغير بن عبد الرحمان والمعروف أيضا باسم أحمد بلحاج رسالة إلى الشيخ محمد الحسناوي أعلمه فيها بحروبه التي يخوضها ضد المحتل الفرنسي وأعوانه بالمنطقة من عائلة ابن قانة، وأكد فيها أنه أثخن فيهم قتلا، وتمكن من تكسير شوكتهم وتفريق جموعهم إلى أن: "... **ذهبوا إلى الرومي شاكين باكين**...". واعتذر له عن تأخره في إرسال الخطاب الذي كتبه له الأمير عبد القادر محاولا تبرير ذلك بالحروب التي دارت بينه وبين الفرنسيين حيث كان: "... **في أشد الانشغال بقتال المتنصرة دمرهم الله**..."، وأشار فيه أيضا إلى المكانة المعتبرة التي كان يتمتع بها الشيخ محمد الحسناوي لدى الأمير عبد القادر الذي كان يقاوم الفرنسيين في منطقة عنابة والذي أصبح وكأنه من خواصه. وفي الأخير تحدث في هذا الخطاب عن رغبة الأمير عبد القادر في التوجه إلى مقاطعة قسنطينة ليتم اللقاء بينهما بهدف تنسيق الجهود لمحاربة المحتل الفرنسي (رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمان إلى الشيخ محمد الحسناوي، في 08 ربيع النبوي سنة 1259هـ (1844م)، وثيقة رقم 41).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وفي عام 1847م كتب الأمير عبد القادر رسالة أخرى إلى الشيخ محمد الحسناوي دعاه فيها إلى مواصلة الجهاد ضد المستعمر الفرنسي، وحثه على الثبات على هذا الموقف، وتحدث فيها كذلك على مشروعية الجهاد مستدلا بالعديد من الآيات القرآنية التي تبرز فضل الجهاد والمجاهد في سبيل الله، ومنزلته عند الله جل جلاله، وأنهى رسالته بدعاء الله أن يجمع بينهما في لقاء قريب (رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمان إلى الشيخ محمد الحسناوي، في 08 ربيع النبوي سنة 1259هـ (1844م)، وثيقة رقم 41).

بهذا يتراءى لنا أن الشيخ محمد الحسناوي انتصر لمقاومة الأمير عبد القادر، رغم بعد المسافة بينهما، وبالمقابل وجدناه قد تخندق في المعسكر المعادي لمقاومة الحاج أحمد باي رغم قرب المسافة بينهما. والحقيقة أن هذا الموقف كانت له أسباب واضحة تتمثل أساسا في علاقة العداوة التي جمعت الشيخ محمد الحسناوي بالحاج أحمد باي بسبب قيام هذا الباي بعزله من منصبه الذي كان يشغله على رأس مشيخة الحنانشة كما عرفنا. يضاف إلى هذا فإن الشيخ محمد الحسناوي كان قد وجد ضالته عند الأمير عبد القادر الذي لم يكن يطمئن لفئة الكراغلة التي ينحدر منها الحاج أحمد باي، وكذلك الأتراك لأنه كان يرى أن مبرر وجودهم في الجزائر غير شرعي، وقد انتفى بزوال الخطر المسيحي الذي كان يهدد الجزائر خلال القرن 16م، والأكثر من هذا كله أنهم كانوا في نظره: "**أعاجم وصعاليك وأجلاف**"! وبالمقابل كان الحاج أحمد باي ينظر إلى الأمير عبد القادر على أنه: "**ليس من سلالة تلد الأمراء!**" (سعد الله، 1992، صفحة 158) (سعيدوني، العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاساتها على المقاومة في أوائل عهد الاحتلال"، 1986، الصفحات 57-77) (نايت بلقاسم، 1983، الصفحات 9-50).

2.مقاومة الشيخ محمد الحسناوي ولجوئه إلى البلاد التونسية

قاوم الشيخ محمد الحسناوي المستعمر الفرنسي منذ بداية الاحتلال تارة بصورة مستقلة، وأخرى في إطار مقاومة الأمير عبد القادر كما رأينا وقد رد الفرنسيون على مقاومته بعنف، فبعد إحكام سيطرتهم على مدينة قسنطينة عام 1837م، عملوا كل ما في وسعهم من أجل التصدي لكل من يناهض وجودهم. وفي هذا المنظور أعطى رئيس القطاع العسكري القسنطيني الجنرال "**غالبوا**" Galbois أوامره بهدف القضاء على مقاومة الشيخ محمد الحسناوي في منطقة عنابة وإقليم الحنانشة. وتنفيذا لهذا الأمر قاد الرائد "**جاني**" «Jannet» حملة عسكرية اجتاح بها هذا الاقليم. غير أن الشيخ محمد الحسناوي تصدى له بقوة وانتصر عليه في معركة دامية خلال شهر فيفري من عام 1839م، اضطر على إثرها القائد العسكري الفرنسي إلى الانسحاب إلى حدود وادي سيبوس بالقرب من مدينة عنابة.

وبقي الشيخ الحسناوي يناوش الفرنسيين في مناطق نفوذه التي توسعت إلى جبال مجردة والمناطق الحدودية في الشمال الشرقي للبلاد، وعجز الجيش الفرنسي على النيل منه وظل قطاعه يشكل ملجأ لكل القبائل الرافضة للوجود الفرنسي، بل حتى للجنود الفرنسيين الفارين من الخدمة العسكرية حيث استقبل في صفوف جيشه 29 جنديا فرنسيا ينحدرون من أصول إسبانية وإيطالية وينتسبون إلى فرقة اللفيف الأجنبي.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وفي 18 ماي من عام 1842م قاد الجنرال "**راندون**" «**Randon**» حملة عسكرية ضخمة قوامها 1800 عنصرا واتجه بها إلى القبائل المنتصرة للشيخ محمد الحسناوي قصد تأديبها، واصطدم معها في عدة معارك ومواجهات أبرزها المواجهة العسكرية الكبرى التي وقعت في المنطقة الممتدة ما بين مضيق عقبة التراب ومنطقة عين سودة. ورغم وحشية الجيش الفرنسي الذي مارس أساليب بربرية ضد السكان ونهب 3000 رأس من المواشي، وكميات هامة من الحبوب إلا أنه انكسر فيها، وفقد 18 عنصرا من جنوده، كما جرح 59 عنصرا منهم كذلك (Féraud , Notes sur Tebessa : Nememcha, 1874, pp. 374-376).

كان الفرنسيون يدركون جيدا قوة الشيخ محمد الحسناوي ودهائه الحربي، لذلك حاولوا بمختلف السبل إعادة استدراجه لهم، حيث كانوا يتتبعون أخباره عن طريق أعوانهم الذين نصبوهم لرصد كل تحركاته، وفي الوقت نفسه محاولة التأثير عليه وإعادة ضمه إلى المعسكر الفرنسي. ومن الرؤساء الأهليين الذين باشروا هذه المهمة، نجد المسمى سي بوضياف الذي كان يتواصل مع الفرنسيين ويحدثهم عن المحاولات التي قام بها لإعادة الشيخ محمد الحسناوي إلى خدمة الفرنسيين والمحاسن التي يمكن لهم أن يجنونها من وراء ذلك (A.O.M, 1838-1856)، ويبدو أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل.

وفي نهاية عام 1842م، تولى الجنرال "**باراغاي ديلييه**" «**Barguay d'Hilliers**» منصب رئيس القطاع العسكري القسنطيني خلفا للجنرال "**نيغريي**" «**Negrier**»، وكان متحمسا أيما حماس للقضاء على الثورات وحركات العصيان التي كانت تقوم بها مختلف قبائل المقاطعة، ولاسيما قبيلة الحنانشة التي انتصرت للشيخ محمد الحسناوي (Mercier, Histoire de Constantine, 1903, pp. 498-499). وعلى هذا الأساس قاد حملة عسكرية ضخمة تتألف من ثلاث فرق رئيسية: **الأولى** انطلقت من مدينة قسنطينة وكانت تحت إشرافه المباشر، و**الثانية** انطلقت من مدينة قالمة، بينما سارت الفرقة الثالثة من مدينة عنابة. وكانت الفرقة الأولى تتشكل من ست كتائب من فصيلة المشاة، و450 حصانا يقودها فرسان الصبايحية وصيادي إفريقيا، وقطعتين من سلاح المدفعية، و50 عنصرا من جنود الهندسة العسكرية. أما الفرقة الثانية، فكانت تحت قيادة العقيد "**هربيون**" «**Herbillon**» وكانت تتألف من ثلاث كتائب من فصيلة المشاة، وسرية من فرقة الصبايحية، وقطعة واحدة من سلاح المدفعية، وأما الفرقة الثالثة الآتية من عنابة، فكانت تحت إشراف العقيد "**سنيل**" «**Seniles**» وكانت تتألف من ثلاث كتائب من سلاح المشاة، وسرية عسكرية، وثلاث قطع من سلاح المدفعية، وقوة ضخمة من فرقة "**القوم**" التي قدر عددها بـ 1200 عنصر يمتطون صهوة خيولهم.

وبعد أن تم تجهيز هذه الحملة، أعطيت الأوامر لتحركها. وهكذا اخترقت الفرقة القادمة من قالمة منطقة زردازة ووصلت إلى وادي ريحان يوم 24 ماي من عام 1843م. أما الفرقة القادمة من مدينة عنابة، فقد اخترقت مجالات قبائل وأعراش مرداس، الشابية، وبني مسعود وحطت عصا ترحالها بسوق أهراس يوم 25 ماي من عام 1843م، بينما الفرقة الآتية من مدينة قسنطينة فقد وصلت إلى عين صودة بعرش أولاد دهان يوم 24 ماي من عام 1843م (Féraud , Notes sur Tebessa : Nememcha, 1874, pp. 376-378).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وعندما بلغت هذه الأخبار مسامع الشيخ محمد الحسناوي، أعد لها عدته وتحرك دون إبطاء لمحاربتها، حيث واجه بقوة الفرقتين الآتيتين من مدينة قسنطينة وقالمة، وبعدها انسحب إلى منطقة الكاف بالبلاد التونسية ملاذه الآمن. وتبعا لذلك انتقمت القوات الاستعمارية الفرنسية انتقاما أرعن من السكان وتمكنت من إخضاع أولاد مومن، وأولاد ضياء وأولاد مسعود، وأولاد خيار، وأولاد سيدي يحيى بن طالب، وأولاد سيوان الذين كانوا يناصرون الشيخ محمد الحسناوي. وبعد الانتهاء من هذه الحملة كافأ الفرنسيون عائلة الرزقي التي لعبت دورا كبيرا إلى جانبهم في إنجاح هذه الحملة، ومنحوا كبيرها منصب شيخ الحنانشة. ولما كان هذا الأخير شيخا طاعنا في السن، فقد تنازل عن هذا المنصب لابن أخيه محمد الصالح الشابي الرزقي الذي أسس زمالته في شهر أوت من عام 1843م، والتي كانت تتشكل من 300 حصان عمل بواسطتها على فرض النظام الاستعماري بالمنطقة (Féraud , Notes sur Tebessa : Nememcha, 1874, pp. 376-378).

وما أن وطأت أقدام الشيخ محمد الحسناوي التراب التونسي حتى سارع إلى إعلام السلطات التونسية بلجوئه إلى بلادهم رفقة جماعته. وفي هذا الإطار كتب رسالة إلى أحمد باشا باي قائلا له: "**قضى الله في حكمه الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه في دخول الفرنصيص (كذا) إلى وطننا وأخذنا على حين غفلة وفرينا بديننا إلى وطن الإسلام كما قال الله تعالى في كلامه العزيز: "إنما المؤمنون إخوة**" (التونسي، رسالة محمد الحسناوي بن بلقاسم إلى أحمد باشا باي تونس، وهي غير مؤرخة لكنها على ما يبدو كتبت في صيف عام 1843م كما يستنتج من سياق الأحداث، وثيقة رقم 10. ينظر الملحق رقم 1: نسخة كاملة من هذه الرسالة، 1843م).

وقد أثار لجوؤه إلى البلاد التونسية حفيظة المسؤولين العسكريين الفرنسيين. ففي 07 جوان من عام 1843م أمر رئيس القطاع العسكري القسنطيني بكتابة رسالة إلى كاهية الكاف الصالح بن محمد حدثه فيها عن موضوع احتماء "**المشاغب**" الشيخ محمد الحسناوي ببلاده (الارشيف الوطني التونسي، 1843، صفحة وثيقة رقم 8). بعد ذلك بأسبوع، أمر هذا الرئيس بكتابة رسالة أخرى إلى كاهية الكاف نفسه. وذكر له بأن الشيخ محمد الحسناوي بعدما دخل في طاعة الفرنسيين شأنه في ذلك شأن "**بقية المشايخ وكبار الوطن**"، انفض من حولهم، وانضم إلى أعداء فرنسا مما يستوجب معاقبته. ونفهم من خلال هذه الرسالة أن الشيخ محمد الحسناوي اتصل بالسلطات الاستعمارية الفرنسية بعد لجوئه إلى تونس طالبا منها العفو والسماح له بالعودة إلى الجزائر، لأن رئيس القطاع العسكري القسنطيني تحدث في رسالته الموجهة إلى كاهية الكاف عن مسألة العفو عن الشيخ محمد الحسناوي، وكلفه بتبليغه شروط هذا العفو والمتمثلة في تقديم نفسه دون إبطاء ودون شرط إلى السلطات الفرنسية، إلى جانب تقديم رهائن كضمان لولائه الدائم والمستقبلي للفرنسيين مؤكدا له أنه إذا رفض الانصياع إلى هذه الشروط فما عليه إلا بالبقاء على التراب التونسي. وفي نهاية هذه الرسالة حذر الحاكم الفرنسي كاهية الكاف السيد صالح بن محمد من مغبة عودة الشيخ محمد الحسناوي إلى الجزائر خفية مؤكدا له أنه في حالة عودته

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بهذه الصفة، فإن الفرنسيين يعتبرون نظراءهم التونسيون أعداء لهم، وبالتالي فإنهم لا يترددون من إعلان الحرب ضدهم وغزو بلادهم (الأرشيف الوطني التونسي، 1843 ، صفحة وثيقة رقم 9).

وبهذا نرى أن كاهية الكاف كان فعلا متعاطفا مع الشيخ محمد الحسناوي، وكان يلعب دور الوسيط بينه وبين السلطات الاستعمارية الفرنسية، وكان الفرنسيون يعلمون جيدا بعلاقة الصداقة التي كانت تربط بينهما كما يذهب إلى ذلك المترجم الفرنسي " **فيرو**" (Féraud , Notes sur Tebessa : Nememcha, 1874, p. 376)، وهي العلاقة التي لم يتحرج منها بايات تونس كثيرا الذين كانوا ينظرون إلى مقاومة الشيخ محمد الحسناوي على أنها امتداد لمقاومة الحاج أحمد باي، الذي كان يراسلهم لطلب النجدة، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاستجابة لطلبه، وتحقيق أمله لأن الفرنسيين كانوا يضايقونهم و يمارسون عليهم ضغوطا كثيرة (Chater, 1984, p. 501).

وفي تلك الأثناء طلب حاكم مقاطعة قسنطينة من القنصل الفرنسي المعتمد بتونس التدخل لدى كاهية الكاف لإقناعه بضرورة التعامل بصورة جدية مع الشيخ محمد الحسناوي الذي تربطه به علاقات ودية قوية، كما طلب منه أن يحاول إقناعه بمنعه من العودة إلى التراب الجزائري لكي يحافظ الفرنسيون على علاقاتهم الطيبة مع جيرانهم التونسيين (I.S.H.M.N.T, 1843, p. Folio 145).

وعلى إثر ذلك احتج القنصل الفرنسي المعتمد بتونس على باي تونس وكتب له رسالة حدثه فيها بإسهاب عن مشاكل الحدود الغربية التونسية، وبالأساس مشكلة كاهية الكافة الذي "**انتصب في المعسكر المعادي لفرنسا حينما قدم أسلحة وذخيرة لعدو الفرنسيين الشيخ محمد الحسناوي، ووفر لنسائه الأمان، واحتفظ له بكنوزه**". (I.S.H.M.N.T , 1843, p. Folio 134) وبالموازاة مع ذلك هدد رئيس القطاع العسكري القسنطيني كاهية الكاف بإعلان الحرب ضد بلاده إذا واصل على نهجه المعادي للفرنسيين، وبقي يساند الشيخ محمد الحسناوي ويتبنى قضيته، ولما بلغت هذه الأخبار مسامع باي تونس وجه هو الآخر رسالة احتجاج إلى هذا الحاكم الفرنسي (I.S.H.M.N.T , 1843, p. Folio 122).

وبإيعاز من السلطات الاستعمارية الفرنسية تدخل القنصل الفرنسي المعتمد بتونس، وحاول أن يقنع الباي التونسي بشرعية ووجاهة ما صدر من حاكم القطاع العسكري القسنطيني (I.S.H.M.N.T , 1843, p. Folio 156) ويبدو أن هذا التدخل أفضى إلى نتائج إيجابية لصالح الفرنسيين لأنه أدى إلى تليين موقف الباي التونسي. ففي يوم 27 سبتمبر من عام 1843م وردت برقية إلى القنصلية الفرنسية بتونس تحدثت عن قيام الباي التونسي بإعطاء تعليمات دقيقة إلى كاهية الكاف تلزمه بممارسة مهامه على أحسن وجه وإرغام الشيخ محمد الحسناوي على البقاء بالتراب التونسي، أو العودة إلى مقاطعة قسنطينة للاستسلام وطلب الأمان دون شرط أو قيد. (I.S.H.M.N.T , 1843, p. Folio 156) وبعد ذلك تلقى القنصل الفرنسي وعدا من الجانب التونسي يقضي بضرورة تعامل السلطات التونسية مع الشيخ محمد الحسناوي بالطريقة التي تخدم فرنسا وتحقق مصلحتها العليا (I.S.H.T.C, 1843, p. Folio 429).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وفي 04 ديسمبر من عام 1843م عين "**الدوق دومال**" «Le Duc d'Aumale» قائدا أعلى لمقاطعة قسنطينة خلفا للجنرال "**بارغاي ديلييه**" (Mercier, Histoire de Constantine, 1903, p. 499). وقد حاول باي تونس كسب صداقة الحاكم الجديد للمقاطعة، حيث راسله وأكد له بأن المسؤولين التونسيين سيعملون على دعم العلاقات التي تربطهم بجيرانهم الفرنسيين في مقاطعة قسنطينة، وسيسعون لحل كل المشاكل العالقة بينهما ولاسيما مشاكل الحدود وبالأساس مشكلة الثائر الشيخ محمد الحسناوي الذي تسبب في تدهور العلاقات بينه و بين حاكم مقاطعة قسنطينة السابق (I.S.H.T.C، Lettre du Consul Général de France à Tunis à Mr le Ministre Secrétaire d'état au Département des Affaires Étrangères le 03/03/1844,، 1844، صفحة Folio 49).

وفي الوقت نفسه أعطى باي تونس أوامره بإجبار الشيخ محمد الحسناوي على إخلاء المكان الذي يوجد فيه على الحدود، كما كلف كاهية الكاف بضرورة توفير كل المعلومات الضرورية المتعلقة بتحركاته، وعدم تكرار التعقيدات وسوء الخلاف الذي حدث بين البلدين خلال السنة الماضية (I.S.H.T.C، Lettre du Consul Général de France à Tunis à Mr le Ministre Secrétaire d'état au Département des Affaires Étrangères le 03/03/1844,، 1844، صفحة Folio 120).

الواقع أن هذه التدابير الجديدة التي باشرها الباي التونسي كانت قد أثلجت صدر "**الدوق دومال**"، حيث سارع إلى طمأنة وزيره للحربية، مؤكدا له بأن كاهية الكاف أبدى حسن نيته في التعامل معه وتعهد بقطع صلته بصورة نهائية مع الشيخ محمد الحسناوي، بل أكثر من ذلك أنه تعهد بالإشراف الشخصي على حملة عسكرية تستهدف تطهير المناطق الحدودية الغربية للبلاد التونسية من كل العناصر المعادية للفرنسيين بالمنطقة (I.S.H.T.C، Lettre du Consul Général de France à Tunis à Mr le Ministre Secrétaire d'état au Département des Affaires Étrangères le 03/03/1844,، 1844، صفحة Folio 190).

وعلى إثر ذلك طلب وزير الحربية الفرنسي من "**الدوق دومال**" أن يتصل بالباي التونسي ويحاول إقناعه بضرورة التخلي عن خدمات كاهية الكاف صالح بن محمد وتعويضه بموظف آخر يخدم المصالح المشتركة للبلدين ويحارب "**المتمردين**" ولاسيما الشيخ محمد الحسناوي (I.S.H.T.C, Lettre du Ministre de la Guerre à son Altesse Royale Monseigneur le Duc d'Aumale Commandant supérieur de la Province de Constantine, sans date,, pp. Folio 201-202.) وبهذا نرى أنه بالرغم من تنازل الطرف التونسي لصالح الطرف الفرنسي فيما يخص كيفية التعامل مع الشيخ محمد الحسناوي، واستجابة الباي التونسي لكل الطلبات التي تقدم بها الفرنسيون للجم نشاط هذا الثائر، ومنعه من العودة إلى التراب الجزائري كعدو للفرنسيين، إلا أن ذلك لم يمنعهم من المبالغة في تقديم طلبات أخرى ذات طابع سيادي تتصرف إلى تغيير

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الموظفين والتخلي عن خدماتهم. ولا شك أن ذلك يمثل مظهرا من مظاهر الضغط السياسي على القادة التونسيين، وتدخلا سافرا في شأنهم الداخلي.

من جهة أخرى حاول الجنرال "**راندون**" رئيس قسمة عنابة أن يلطف الأجواء المتوترة نسبيا بين السلطات الاستعمارية الفرنسية وكاهية الكاف محمد بن صالح حيث توجه له برسالة تضمنت عبارات المجاملة والود، منوها بعلاقات الصداقة التي تجمع بين مسؤولي البلدين، وفي الوقت نفسه معربا على أمله الكبير في أن يسلك كاهية الكاف أسلوب الحكمة في حل مشاكل الحدود قائلا: "**إن المسؤول الحكيم هو المسؤول الذي يعمل دون هوادة من أجل قطع دابر الفوضى وتلا في الحرب بين الرجال والدول**" (I.S.H.T.C، Lettre du Maréchal Salah Ben Mohamed Kahia à Randon Maréchal de Camp et la Subdivision de Bône du Kef, le 28/06/1844، 1844، صفحة Folio 284).

والحقيقة أن العمليات العسكرية التي باشرها الفرنسيون على الحدود الشرقية للجزائر، والتي توغلت حتى داخل التراب التونسي لمضايقة الشيخ محمد الحسناوي، وكذا مختلف الاتصالات التي أجراها المسؤولون الفرنسيون مع نظرائهم التونسيين للتضيق على هذا الشيخ، كانت قد حققت نتائج إيجابية لصالح الفرنسيين، حيث انتهجت القيادة التونسية سياسة صارمة ضد هذا الثائر، تحقق المصلحة الفرنسية، وهذا ما نفهمه من الرسالة التي كتبها "**الدوق دومال**" إلى وزير الحربية الفرنسي قائلا له: "... **إن السياسة التي انتهجها الفرنسيون تجاه حكام تونس بسبب الشيخ محمد الحسناوي قد أتت أكلها، كما أن كاهية الكاف تخلى عن مكائده وسلوكه العدواني ضد المصالح الفرنسية، حيث أجبر هذا المتمرد على البقاء رفقة زمالته على التراب التونسي، كما حذره من مغبة تجاوز الحدود الجزائرية**..." (I.S.H.T.C, Série 25H Tunisie, Dossier n° 06, Carton n° 25H9, Bobine A 10 : Lettre adressée de Constantine au Ministre de la Guerre par son Altesse Royale Monseigneur le Duc d'Aumale commandant Supérieur Supérieur de Constantine, le 24/07/1844 , 1844, p. Folio 515) ورغم ذلك، فإن المسؤولين الفرنسيين السامين بفرنسا لم يطمئنوا كثيرا لكل الإجراءات التي قام بها نظراؤهم التونسيون والمتعلقة بالشيخ محمد الحسناوي، حيث قام وزير الحربية الفرنسي بإرسال وفد إلى باي تونس ليتباحث معه حول عدة مسائل أهمها "**التصرفات المشينة**" التي يبديها كاهية الكاف تجاه الفرنسيين من خلال تعاطفه غير المشروط مع "**المتمردين الجزائريين**" وعلى رأسهم الشيخ محمد الحسناوي (I.S.H.T.C, quai d'Orsay Paris, Bobine 288, Dossier n° 1 Carton n° 8 : Lettre du Ministre de la Guerre à Mr le Ministre des Affaires Étrangères, Le 09/08/1844, Folio 222., 1844).

ويبدو أن القادة التونسيين طلبوا من الشيخ محمد الحسناوي مغادرة بلادهم بسبب الضغوطات التي كانت تمارس عليهم من قبل الفرنسيين، فتجاوب مع رغبتهم حيث نزح من جديد إلى التراب الجزائري وتسلل إلى منطقة عنابة، ثم التحق بإقليم الحنانشة وبني صالح. وهي مناطق لم تتمكن الإدارة الاستعمارية الفرنسية من "**تهدئتها**"

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والقضاء على الروح الثورية فيها، حيث بقيت ثائرة ورافضة لكل أشكال الاستعمار والهيمنة. وفي هذا المضمار خاض الجنرال "**راندون**" حروبا عدوانية ضد سكانها بسبب تأييدهم المطلق للثائر الشيخ محمد الحسناوي، ومارس أساليب وحشية ضدهم حيث أعطى الأوامر لجنوده لكي يتصرفون بوحشية ضد كل من يلقى عليه القبض. وتنفيذا لهذا الأمر قام الجنود الفرنسيون بقتل العديد من أنصار الشيخ محمد الحسناوي ثم قطعوا رؤوسهم، وقاموا بتقديمهم إلى مسؤولهم المباشر الجنرال "**راندون**" الذي حاول إرهاب سكان مدينة عنابة وأريافها بواسطة عرض هذه الرؤوس وتعليقها على أحد أبوابها وكتب إلى جانبها العبارة الآتية: "**إن الرؤوس التي هي أمامكم هي رؤوس أنصار الشيخ محمد الحسناوي من سكان قبيلة الحنانشة الذين كانوا وراء الاضطرابات الخطيرة التي عصفت بالمنطقة خلال الأيام الأخيرة. لقد تعاملت القوات الفرنسية بقوة ضد هؤلاء الخارجين عن القانون وليعلم الجميع أن الفرنسيين لن يتسامحوا قيد أنملة مع كل شخص تحدثه نفسه على مؤازرة وتأييد هؤلاء المتمردين الذين لا يمكنهم بأي حال من الأحوال التملص والهروب من العدالة الإلهية!** " (Maitrot, 1912, p. 377).

ورغم هذه الجرائم إلا أن الشيخ محمد الحسناوي لم يفقد أنصاره ومؤيديه، حيث التف حوله في تلك الأثناء حشد كبير من سكان النمامشة، وهاجموا إحدى الفرق العسكرية الفرنسية التي كان يقودها الجنرال "**راندون**" رئيس قسمة عنابة، عندما كانت عائدة من منطقة تبسة. وذلك رغم استسلامهم الذي أبدوه خلال شهر فيفري من عام 1845م لشيخ العرب بن قانة، والذي طلبوا منه تعيين ابن أخيه أحمد بالحاج قائدا عليهم، فكان لهم ذلك بعد موافقة الجنرال الفرنسي "**لوفاسور**" «**Levasseur**» الذي منحه برنوس التولية. وبقي الشيخ محمد الحسناوي لاجئا لديهم، فاحتضنوه وطلبوا منه المكوث عندهم وعدم مغادرة إقليمهم، مستفيدين من نصائحه وتوجيهاته. وفي عام 1846 قاد الفرنسيون حملة عسكرية ضخمة ضدهم تحت إشراف ألمع العسكريين الفرنسيين وهم "**سنيل**" « **Senilhes**» و"**هربيون**" «**Herbillon**» و "**سوني**" «**Sonnet**» و بمجرد أن وطأت أقدام هذه الحملة إقليم النمامشة حتى غادرها سكانها، و لم يعثر الفرنسيون على أحد، فتفرقوا إلى جماعات وفرق، واتجه جزء منهم إلى منطقة سوف جنوبا، بينما فضل الجزء الآخر التوجه نحو الحدود التونسية. وبهذه الكيفية تمكنوا من تفويت الفرصة على الجيش الفرنسي. وقد اهتدى السكان إلى هذه الخطة المحكمة بناء على نصائح وتوجيهات الشيخ محمد الحسناوي الذي كانت له خبرة واسعة في مثل هذه الظروف والمناسبات (Féraud , Notes sur Tebessa : Nememcha, 1874, pp. 458-459).

من الجائز القول أن الشيخ محمد الحسناوي عاد إثر هذه الحوادث إلى البلاد التونسية، لأن ثمة تقارير فرنسية تحدثت عن وجوده على التراب التونسي في نهاية عام 1846م. ويفهم من أحدها أن المسؤولين الفرنسيين لم يطمئنوا لقادة تونس، ظلوا ينظرون إليهم على أنهم لم يتعاملوا مع الشيخ محمد الحسناوي بالطريقة التي كانوا يتمنونها، و بناء على ذلك حاولوا القضاء عليه بمختلف الطرق والوسائل. وفي هذا المنظور حاولوا مقايضته رفقة ثائر آخر وهو أحمد بلحاج الخليفة السابق للأمير عبد القادر ببعض العناصر التونسية المعادية للنظام التونسي، والتي كانت رهن الاعتقال بالجزائر. غير أن هذه الخطوة التي لعب فيها القنصل الفرنسي المعتمد

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بتونس دور الوسيط، فشلت بسبب عدم استساغتها من قبل باي تونس الذي رفضها مبررا رفضه لها بكون أن الجهات الأمنية التونسية لم تتمكن من إلقاء القبض على الشيخ محمد الحسناوي الذي شن هجوما عنيفا ضد القوات العسكرية التونسية، وبعد انكساره فحط واحتمى في جهة مجهولة، فانقطعت أخباره. أما أحمد بلحاج الخليفة السابق للأمير عبد القادر، فقد قال عنه باي تونس بأنه غادر هو الآخر التراب التونسي وانقطعت اخباره كذلك (I.S.H.T.C, quai d'Orsay, Paris, Bobine 517, Série Affaires Diverses Politiques, Dossier n° 1, Carton n° 1 : Copie d'une Lettre adressée au Ministre de la Guerre par le Gouverneur Général de L'Algérie Le 1èr /11/1846, 1846, p. Folio 508.) .

فهل كان باي تونس صادقا في كلامه؟ وهل المبررات التي قدمها للفرنسيين كانت مبررات حقيقية؟ أم أنه عز عليه أن يقايض الشيخ محمد الحسناوي بعناصر تونسية مغضوب عليها، ويقدمه لقمة سائغة للفرنسيين؟ هل امتنع عن الاستجابة لمطلب الفرنسيين لأن عقيدته الإسلامية تمنعه من ذلك، لاسيما وأن الشيخ محمد الحسناوي كغيره من الثائرين الجزائريين الآخرين الذين احتموا بالتراب التونسي كانوا يراسلون الرسميين التونسيين ويقولون لهم أنهم هاجروا إلى بلادهم تونس وطن الإسلام وبلد الإيمان والأمان، لأن وطنهم الجزائر في ذلك الحين قد تحول إلى "دار حرب" وانتشرت فيه رائحة الكفر وفقا للتمثلات الدينية السائدة آنئذ؟

يبدو أن المسؤولين في تونس كانوا في تلك الأثناء لا يملكون حقيقة معلومات دقيقة حول مكان تواجد الشيخ محمد الحسناوي وأحمد بلحاج الخليفة السابق للأمير عبد القادر، ورغم ذلك لم يتجشموا عناء البحث عنهما لأنهم كانوا متعاطفين معهما، إذ أنهم لم يباشروا إجراءات ملاحقتهما إلا بطلب وإلحاح من جانب المسؤولين الفرنسيين وقنواتهم القنصلية بتونس.

3.نهاية الشيخ محمد الحسناوي

في بداية عام 1847م تلقى الفرنسيون معلومات دقيقة تخص الشيخ محمد الحسناوي مؤداها أنه دخل التراب الجزائري واستقر بأرياف عنابة، ثم احتمى بإقليم النمامشة، واحتضنه سكانها وتعاطفوا مع قضيته ووفروا له الراحة والأمان. وتبعا لذلك باشر رئيس قسمة عنابة العقيد "**سنيل**" حملة عسكرية ضدهم بهدف تأديبهم وذلك في شهر مارس من عام 1847م. وقد عضده في ذلك الجنرال "**هربيون**" الذي قاد حملة عسكرية أخرى موازية انطلقت من قسمة باتنة، ورغم أن القوات الفرنسية المشتركة من الجهتين قامت بحملة تمشيط واسعة النطاق امتدت من جبال جنوب تبسة حتى مشارف الصحراء الشرقية بمنطقة نقرين إلا أنها لم تعثر على أثر للشيخ محمد الحسناوي ولا حتى لأنصاره ومؤيديه، فازدادت حيرة الفرنسيين وارتبكت جيوشهم. وفي تلك الأثناء كان الشيخ محمد الحسناوي قد تسلل خفية رفقة أنصاره إلى منطقة طبيقة بسهول عنابة، القريبة جدا من مقر قسمة عنابة إلا أن عيون الجواسيس لاحقته فألقي عليه القبض، واعتقل رفقة زمالته التي كانت تتشكل من 14 خيمة، غير أن الفرنسيين لم يسلطوا عليه أدنى عقوبة، بل بالعكس فقد كلفوه بخطة "**قايد**" على عرش أولاد سيدي يحيى

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ابن طالب عام 1848م، ثم وشحوه بمنصب قيادة النمامشة عام 1850م. (Féraud, : « Les Harar seigneurs des Hanancha, pp. 384-385)

والسؤال الذي يطرح في هذا السياق **هو هل إسناد الفرنسيين هذا المنصب الحساس للشيخ محمد الحسناوي كان نتيجة اقتناعهم بأنه تخلى عن معاداتهم أم أنهم كانوا مضطرين إلى ذلك؟** يبدو أن الفرنسيين في هذه الحالة عملوا بمبدأ "**ميكيافيلي**" الذي مؤداه أن الغاية تبرر الوسيلة، لأن غايتهم في تلك الأثناء كانت تهدئة المنطقة وقطع دابر كل حركة تمرد تستهدف وجودهم هناك، فكان الشيخ محمد الحسناوي عدوهم الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه الغاية الاستراتيجية خاصة وأنهم كانوا يعلمون أنه كان يمارس نفوذا أدبيا كبيرا على سكان المنطقة الذين جبلوا على حياة التمرد، لأن الفرنسيين لم يكونوا يبدون له الود، والدليل على ذلك أنه بمجرد أن تثبتت أقدامهم بالمنطقة حتى سارعوا إلى لفظه كما سنعرف لاحقا.

أقبل الشيخ محمد الحسناوي على ممارسة المهام التي كلف بها من قبل الفرنسيين، غير أنه لم يكن مرتاح البال وهو يباشر تلك المهام، بل كان يعيش صراعا داخليا لأنه لم يكن مقتنعا بما كان يقدمه للفرنسيين وما يملون عليه من أوامر وتوجيهات، لأن طبيعته الثورية جبلت على معاداتهم. ومن هذا المنطلق كان لا يكترث بالأوامر التي كانت توجه له من القيادة العليا الفرنسية بقسنطينة، بل أكثر من ذلك أنه كان يتصرف بشكل يتناقض مع المصلحة الفرنسية حيث قام بإلغاء الضرائب، وجمد العمل بعقوبة الحجز ومصادرة الممتلكات. والأخطر من هذا كله أنه أعطى أوامره بنصب كمائن تستهدف الفرنسيين. وقد أشرف على هذه العملية التي كانت تتم في سرية تامة نجله الدحماني، وعلق أحد الكتاب الفرنسيين على فترة حكمه بالقول: "... **لقد كانت فترة حكمه التي دامت سنتين مشؤومة بالنسبة للفرنسيين، حيث قام بتهديم ما بنيناه خلال خمس سنوات، وكانت القبيلة التي يشرف على تصريف شؤونها ملجئا لكل الفرسان المنشقين عن إدارة الحكم الفرنسي، كما كانت تشكل مركز استقطاب لكل الحاقدين على الجيش الفرنسي...**" (Derdour, 2004, p. 401).

وأمام تعاظم مخاطر الشيخ محمد الحسناوي على الوجود الفرنسي في المنطقة، قررت القيادة العسكرية توقيفه ووجهت له عدة تهم كالاختلاس، وتزوير الطوابع الرسمية للدولة لاستعمالها لأغراض غير مشروعة، وتبعا لذلك أحيل على القضاء العسكري الذي سلط عليه عقوبة النفي إلى جزيرة القديسة "**مارغاريت**" عام 1851م. وبعد فترة قصيرة قضاها في منفاه، سمح له بالعودة إلى أرض الوطن ليعيش حياة العزلة إلى أن وافته المنية عام 1853م بعين البيضاء (Féraud, : « Les Harar seigneurs des Hanancha, p. 385).

هكذا كانت نهاية هذا الثائر، ورغم أنها كانت في المعسكر الفرنسي، إلا أنه على ما يبدو لم يكن يتمنى أن تكون كذلك لأن مساره الثوري الذي فاق العشرين سنة يوحي بأن لديه عقيدة ثورية رافضة للوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يمكن أن نخلص إلى عدة نتائج تتلخص فيما يلي:

إن السياسة التي انتهجها الحاج أحد باي تجاه الشيخ محمد الحسناوي وبعض الوجهاء والأعيان الآخرين، والتي كانت قائمة على عنصر الإقصاء والتهميش كانت لها تأثير مباشر على مواقف هذا الشيخ من المقاومة الوطنية والاحتلال الفرنسي، حيث فضل التخندق في المعسكر المعادي له، وهذا ما يفسر تعاونه مع الأمير عبد القادر بل حتى مع المستعمر الفرنسي.

إن اضطراب مواقف الشيخ محمد الحسناوي من المستعمر الفرنسي، ودخوله في خدمته في بداية مقاومته ونهايتها، يجب فهمه ودراسته دراسة عميقة وشاملة تستحضر السياق التاريخي الذي جرت فيه تلك الأحداث. ولن يتأتى ذلك إلا إذا تخلصنا من ذاتيتنا وحاولنا فهم روح تلك الحقبة التاريخية، لأن الشيخ محمد الحسناوي عندما دخل في خدمة المستعمر في البداية كان نكاية في الحاج أحمد باي الذي همشه، أما في النهاية فكان هدف تعاونه مع المستعمر هو الفكاك من مضايقات هذا المستعمر الذي ألقى عليه القبض.

لقد فضل الشيخ محمد الحسناوي الهجرة إلى البلاد التونسية ليس فقط من أجل الراحة والتخطيط واستجماع القوى، وإنما أيضا أن الجزائر كانت في نظره كما كانت في نظر سائر المسلمين قد تحولت حينئذ إلى "**درا حرب**" أو "**دار كفر**" لأنها اغتصبت من قبل الكافر الفرنسي. وكانت البلاد التونسية "**دار سلم**" أو "**دار الإسلام**" وفقا للتمثلات الدينية السائدة في تلك الحقبة التاريخية.

كان موقف الرسميين في تونس من الشيخ محمد الحسناوي موقفا إنسانيا رصينا ومتوازنا أملته مبادئ القيم الإسلامية والإنسانية التي تقضي بإغاثة واستضافة وحماية اللاجئين خاصة إذا كانوا مسلمين، فحاولوا قدر المستطاع مساعدته والتستر عنه رغم المضايقات التي كانت تمارسها فرنسا عليهم عبر الدوائر الرسمية في الجزائر وفي فرنسا وأيضا عبر قنواتها القنصلية في تونس.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ملاحق

الملحق رقم 1: رسالة غير مؤرخة للشيخ محمد الحسناوي إلى أحمد باي تونس يعلمه فيها بدخوله إلى التراب التونسي[1]

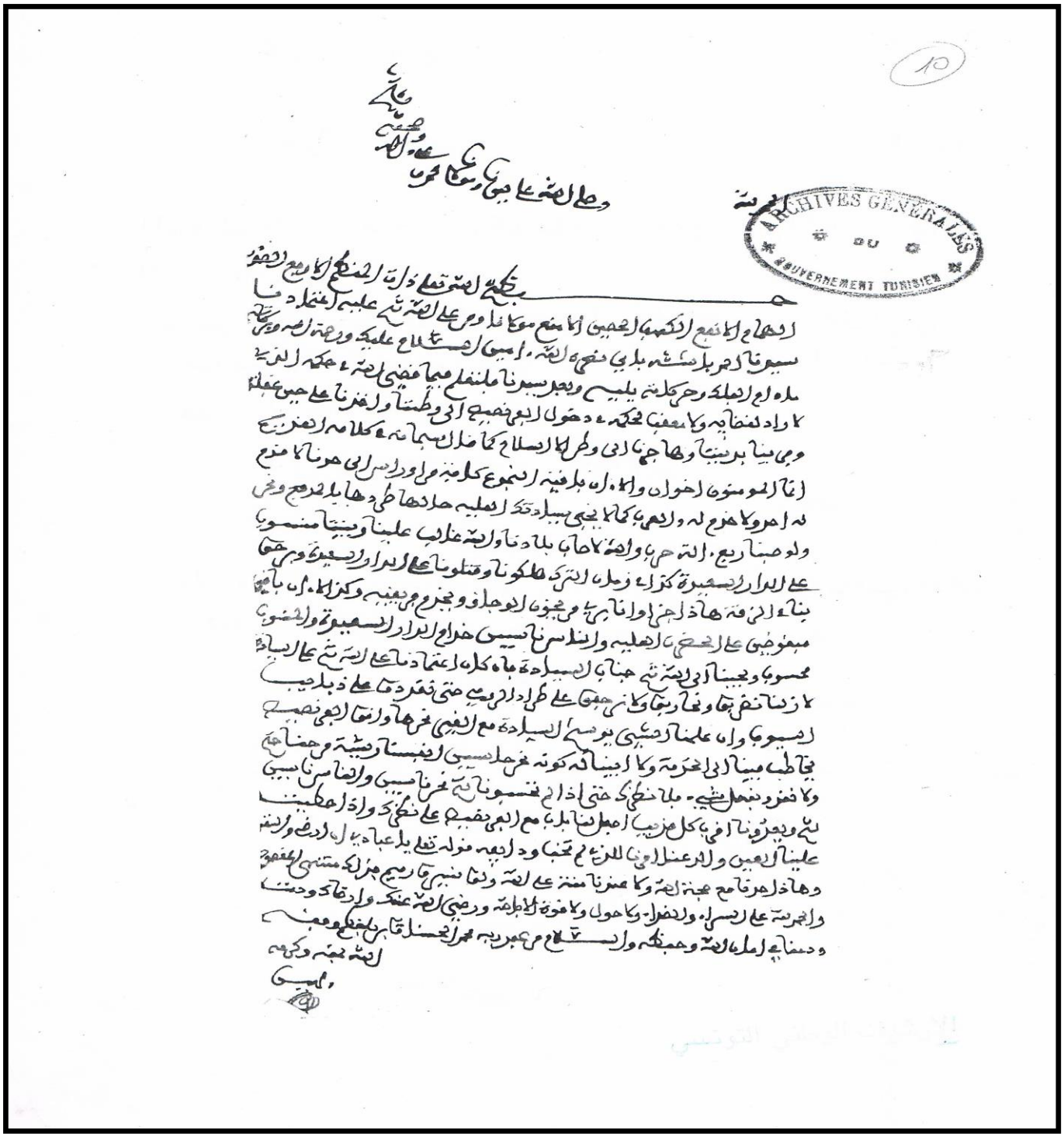

(1) الأرشيف الوطني التونسي: السلسلة التاريخية، الحافظة 212، الملف 239، الوثيقة رقم 10.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الملحق رقم 2: رسالة الجنرال "بارغاي ديلييه" إلى كاهية الكاف في 1843/06/14م حول شروط العفو الخاصة بالشيخ محمد الحسناوي [1]

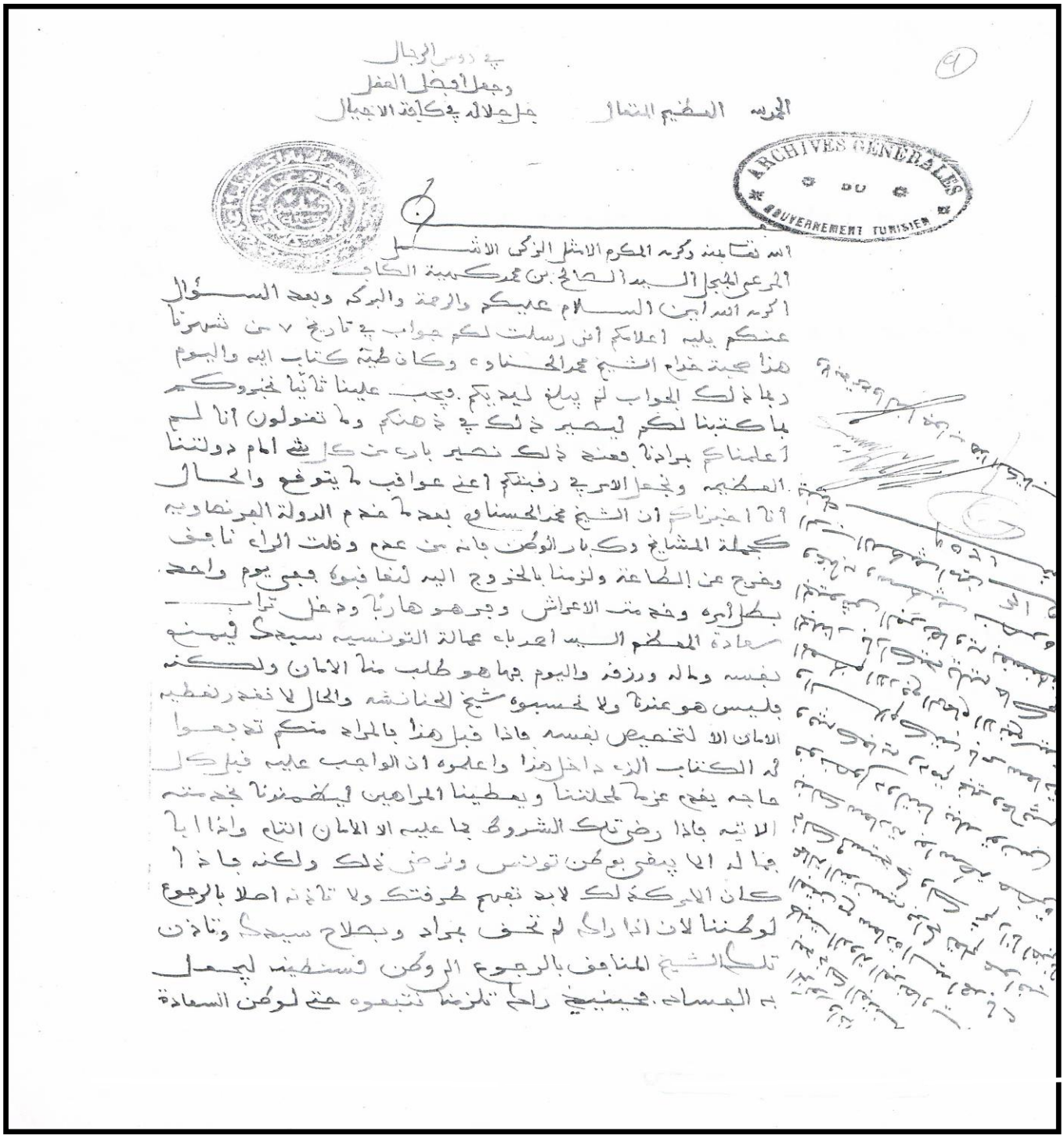

(1) الأرشيف الوطني التونسي: السلسلة التاريخية، الحافظة 212، الملف 239، الوثيقة رقم 09.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الملحق رقم 3: رسالة الجنرال "بارغاي ديلييه" إلى القنصل الفرنسي بتونس مؤرخة في 1843/06/16م يطلب منه التدخل لدى كاهية الكاف ليقنع الشيخ محمد الحسناوي بعدم العودة إلى الجزائر [1].

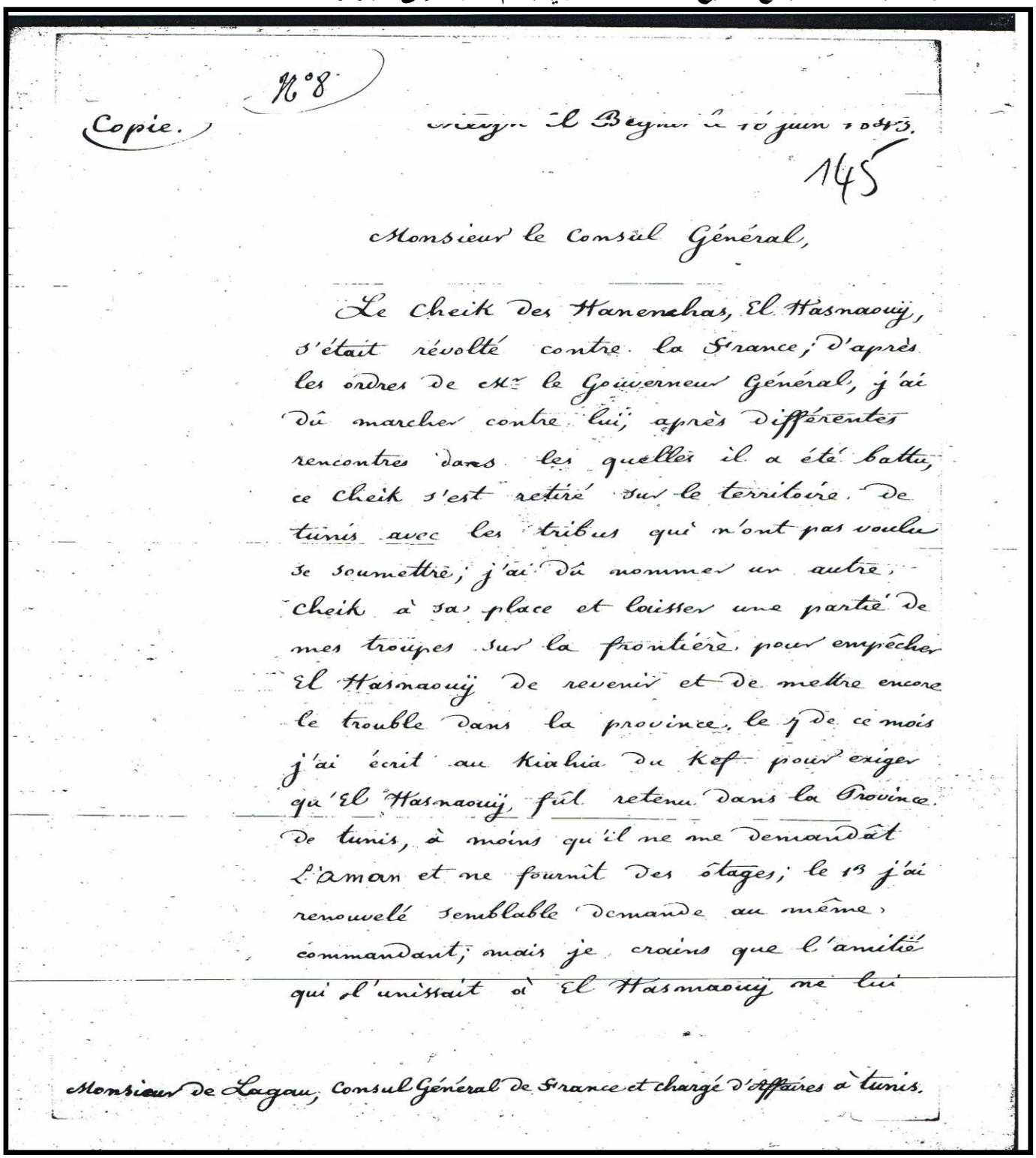

N°8

Copie.

Camp de El Beyra le 10 juin 1843.

145

Monsieur le Consul Général,

Le Cheik des Hanenchas, El Hasnaouij, s'était révolté contre la France; d'après les ordres de Mr le Gouverneur Général, j'ai dû marcher contre lui; après différentes rencontres dans les quelles il a été battu, ce Cheik s'est retiré sur le territoire de tunis avec les tribus qui n'ont pas voulu se soumettre; j'ai dû nommer un autre Cheik à sa place et laisser une partie de mes troupes sur la frontière pour empêcher El Hasnaouij de revenir et de mettre encore le trouble dans la province. le 7 de ce mois j'ai écrit au Kialia du Kef pour exiger qu'El Hasnaouij fût retenu dans la Province de tunis, à moins qu'il ne me demandât l'aman et ne fournit des ôtages; le 13 j'ai renouvelé semblable demande au même commandant; mais je crains que l'amitié qui l'unissait à El Hasnaouij ne lui

Monsieur de Lagau, Consul Général de France et chargé d'Affaires à tunis.

(1) I.S.H.T.C (Tunisie) : Archives du Ministère des Affaires Étrangères, Bobine 517, Série : Affaires Dverses Politiques, Dossier n° 1, Carton n° 1 , Folio 145.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

fasse fermer les yeux sur les entreprises de ce rebelle et que, forcé moi-même de le poursuivre une seconde fois, je ne doive passer la frontière pour le punir de ses méfaits. Un pareil acte, je le sais, pourrait entraîner la guerre entre les deux pays, et c'est dans le but d'éviter ce malheur que le 30 mai, j'ai eu l'honneur de vous écrire pour vous prier d'exiger et d'obtenir de S. A. de faire interner El Hasmaouij et de le faire surveiller d'assez près, pour ne plus le voir reparaître dans nos contrées. J'ignore, Monsieur le Consul Général, si ma lettre vous est parvenue, et dans le doute et l'intérêt de notre cause, je crois devoir vous réitérer la demande que j'ai eu l'honneur de vous adresser.

Recevez, Monsieur le Consul Général, l'assurance de mes sentiments les plus distingués.

Le Maréchal de camp commandant la Province de Constantine.

Signé: B. d'Hilliers.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قائمة المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية

الأرشيف الوطني التونسي. (1843م). **رسالة محمد الحسناوي بن بلقاسم إلى أحمد باشا باي تونس، وهي غير مؤرخة لكنها على ما يبدو كتبت في صيف عام 1843م كما يستنتج من سياق الأحداث**، وثيقة رقم 10. ينظر الملحق رقم 1: نسخة كاملة من هذه الرسالة. الأرشيف الوطني التونسي: السلسلة التاريخية، الحافظة 212، الملف 239.

الأرشيف الوطني التونسي. (بلا تاريخ). **رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمان إلى الشيخ محمد الحسناوي**، في 08 ربيع النبوي سنة 1259 هـ (1844م)، وثيقة رقم 37.

الأرشيف الوطني التونسي .**رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمان إلى الشيخ محمد الحسناوي**، في 08ربيع النبوي سنة 1259هـ 1844م تونس ، وثيقة رقم41 .

الأرشيف الوطني التونسي .(1843) .**رسالة كتبت بأمر من الجنرال باراغاي دييليه إلى السيد صالح بن محمد كاهية الكاف، بتاريخ 14/06/1843**، وثيقة رقم 9ينظر الملحق :2نسخة كاملة من هذه الرسالة .تونس :الأرشيف الوطني التونسي.

سعيد دحماني. (2002). **من هيبون– بونة– إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري**. عين مليلة، الجزائر: طباعة دار الهدى.

لحاج أحمد ابن المبارك ابن العطار. (د، ت). **تاريخ حاضرة قسنطينة**، دون ناشر.

مولود قاسم نايت بلقاسم. (1983). **استمرارية الدولة الجزائرية في نظر الأمير عبد القادر أو الأمير عبد القادر والخلافة العثمانية**. مجلة الثقافة(75).

ناصر الدين سعيدوني. (1986). "**العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي و انعكاساتها على المقاومة في أوائل عهد الاحتلال**". مجلة الدراسات التاريخية(2).

الأرشيف الوطني التونسي; **السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 929:رسالة الأمير عبد القادر إلى علي بن سالم الورقلي في 6 ربيع الثاني 1263 هـ (23 مارس من1847م عام)**، الوثيقة رقم 40.

ناصر الدين سعيدوني. (1985). **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر– الفترة الحديثة والمعاصرة**– الجزء الثاني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ناصر الدين سعيدوني. (2000). **الجزائر منطلقات وآفاق. مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، الطبعة الأولى ، ص 61. بيروت: دار الغرب الإسلامي .

أبو القاسم سعد الله. (1992). **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، الجزء الأول. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

ثانيا: باللغة الفرنسية

Chater, K. (1984). **Dépendance et Mutations Précoloniales à La Régence de Tunis de 1815 à 1857**. Tunisie: Publications de L'université de Tunis.

I.S.H.T.C. (1844). **quai d'Orsay Paris, Bobine 288,** Dossier n° 1 Carton n° 8 : Lettre du Ministre de la Guerre à Mr le Ministre des Affaires Étrangères, Le 09/08/1844, Folio 222. Archives du Ministère des Affaires Étrangères.

I.S.H.T.C. (1844). **Série 25H Tunisie, Dossier n° 06, Carton n° 25H9**, Bobine A 10 : Lettre adressée de Constantine au Ministre de la Guerre par son Altesse Royale Monseigneur le Duc d'Aumale commandant Supérieur Supérieur de Constantine, le 24/07/1844 . France: Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence.

I.S.H.T.C. (1846). **quai d'Orsay, Paris, Bobine 517**, Série Affaires Diverses Politiques, Dossier n° 1, Carton n° 1 : Copie d'une Lettre adressée au Ministre de la Guerre par le Gouverneur Général de L'Algérie Le 1èr /11/1846. Archives du Ministère des Affaires Étrangères,.

Mercier, E. (1903). **Histoire de Constantine.** Constantine: Marle et F.Biron imprimeur éditeur.

Temimi, A. (1978). **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837)** . Tunis, Tunisie: Les

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

Presses de La Société Tunisienne des Arts Graphiques.

Watbled, E. (1870). **Cirta-Constantine. Expédition et Prise de Constantine 1836-1837**, 2ème Partie : Lettre adressée à Mr Desjobert, Membre de La Chambre des députés, le 15 Juillet 1836. Revue Africaine(14).

A.O.M. (1838-1856). **Correspondance des Officiers 1838-1856** : Lettre de si Boudiaf au capitaine Gresly, sans date, Folio n° 2. France: Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence.

Alfred , M. (1876). **La Prise d'Alger Racontée par un Captif** . Revue Africaine(20).

C.A.O.M. (Fevrier 1837). Rapport du Comte Damrémont Gouverneur Général des Possessions Française dans le Nord de L'Afrique adressé au Ministre de la Guerre. France: Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence F80. 1672.

Eugène , V. (1869). **Suite et fin de L'Histoire de Constantine sous La domination Turque**, **(1792-1837)** . Recueil de La Société Archéologique de la Province de Constantine.

Féraud , L. (1874). **Notes sur Tebessa : Nememcha.** Revue Africaine(18).

Féraud, L. (s.d.). : « **Les Harar seigneurs des Hanancha**. Études Historiques sur la Province de Constantine.

Féraud, L. (1873). **Documents pour servir à L'Histoire de Bône.** Revue Africaine(17).

Féraud, L. (s.d.). **Documents pour servir à L'Histoire de Bône** .

I. :. (1843). **Lettre du Maréchal de camp Commandant de la province de Constantine à Mr le Consul Général de France à Tunis, le 16/06/1843, Folio 145. France: quai d'Orsay**, Paris, Bobine 517, Série Affaires Diverses Politiques, Dossier n° 1, Carton n° 1.

I.S.H.M.N.T . (1843). **Lettre du Consul Général de France à Tunis adressée au Bey de Tunis Le 24/06/1843,**.

I.S.H.T.C. (1843). **Série 25H, Dossier n° 4, Carton n° 25H9, Bobine A9 : Lettre du Consul chargé d'Affaires** de France à Tunis adressée à Mr le Maréchal Bugeaud Gouverneur Général de L'Algérie à Alger le 19/12/1843. France: Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence,.

I.S.H.T.C. (1844). **Lettre du Consul Général de France à Tunis à Mr le Ministre Secrétaire d'état au Département des Affaires Étrangères le 03/03/1844**,. France: Archives du Ministère des Affaires Étrangères.

I.S.H.T.C. (1844). **Lettre du Maréchal Randon Maréchal de Camp et la Subdivision de Bône à Salah Ben Mohamed Kahia du Kef, le 28/06/1844.**

I.S.H.T.C. (s.d.). **Lettre du Ministre de la Guerre à son Altesse Royale Monseigneur le Duc d'Aumale Commandant supérieur de la Province de Constantine**, sans date,.

L.ch, F. (1874). **Les Harar Seigneurs des Hanencha**. Études Historiques sur La Province de Constantine . Revue Africaine (18).

Lacqueton , G. **(Revue Africaine1892).** Papiers du Général Valize relatifs à La Conquête d'Alger . (36).

Maitrot, C. (1912). **Bône Militaire.** Bône: 44 siècles de Luttes.

Mercier, E. (1896). **Les deux sièges de Constantine (1830-1837).** Constantine: Imprimerie Libraire L.Poulet.

الأرشيف الوطني التونسي. (1843). **رسالة كتبت بأمر من الجنرال باراغاي ديليه إلى السيد صالح بن محمد كاهية الكاف**، بتاريخ 1843/06/07، وثيقة رقم 8، وهي محررة باللغة العربية. وقد عثرنا على الوثيقة نفسها مترجمة إلى اللغة الفرنسية بأرشيف وزراة الشؤون الخارجية. تونس:

I.S.H.T.C:Archives du Ministère des Relations Extérieures, quai d'Orsay, Paris, Série Affaires Diverses Politiques : Bobine n : 517 °Traduction d'une Lettre écrite par ordre de S.E. le très Magnifique, très élevé le général Baraguay d'Hilliers, Command.

Derdour, H. (2004). **Annaba 25 Siècles de vie Quotidienne et de Luttes**. Ain M'lila-Algérie: Tome 2, Les Presses de Dar El-Houda.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)